

الفصل الرابع  
الحكمة من ذكر الحشرات  
في القرآن والسنة



## الحكمة من ذكر الحشرات

### في القرآن والسنة

لا يخلو ذكر الحشرات في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من حكم جليلة سامية، ونود أن نتعرف على معنى الحكمة قبل بيان أنواعها، ليكون ذلك أكثر إغاثة على إدراكها والعمل بمقتضاها.

#### معنى الحكمة:

للحكمة معان كثيرة، وللعلماء فيها كلام مستفيض، نجتزئ منه ما يلي:

١ - ذهب ابن عباس إلى أن الحكمة المقصودة في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩) تعنى القرآن والفهم فيه.

٢ - قال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقہ.

٣ - قال أبو مالك: السنة.

٤ - وقيل: الحكمة هي العلم النافع المؤدى إلى العمل الصالح<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى الأخير على إجماله يتفق مع ما نهدف إليه، ذلك لأن الحكمة ضالة المؤمن، فإذا وجدها فهو أولى الناس بها، ونحن حينما نُعمِلُ الفكر، ونُجِيلُ النظر في هذه المخلوقات الدقيقة الرقيقة، ونتعرف على الأغراض التي ذكرت في القرآن من أجلها، فإننا بهذا إنما نحاول الوصول إلى العلم النافع بخصوصها؛ حيث يدفعنا إلى العمل الصالح الذى يقربنا إلى الله - تعالى -

#### الحكمة من ذكر الحشرات في القرآن والسنة:

#### أولاً: الحشرات آية من آيات الله فى الخلق والإبداع:

فالحشرات دواب خلقها الله - تعالى - لتقف مع غيرها من الدواب فى صف الإعجاز وإعطاء الأدلة على تفرده بالخلق والإيجاد، قال - تعالى - ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ

(١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٢٢، وصفوة التفسير، للصابونى، ج ١، ص ١٧٠.

وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتُ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ (الجنائية: ٤). فللحشرات تاريخها الضارب في القدم، وانتشارها العالى الهائل، بحيث لا تكاد تجد بيئة من البيئات تخلو من هذه المخلوقات، ولها أنواعها العديدة، هذا فضلا عن تنوع أنماط حياتها وسلوكها، كما أن لها طرزها اللونية التي تبعث على معرفة الله وخشيته، يقول الله - تعالى -: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٦٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ (فاطر: ٢٧، ٢٨).

فهذا النص يوقفنا على سنة من سنن الله - تعالى - في خلقه، ألا وهى سنة التمايز والتغير بين الأفراد على أساس الاختلافات اللونية بينها، يستوى فى ذلك الجماد والحيوان والنبات والإنسان، والحشرات لها باع طويل فى هذا المضمار، ففى تعدد ألوان أفرادها مع دقتها ورقتها ما ينطق بعظمة الله، ثم إن الآيات ترتب خشية الله على العلم بهذه الأشياء وإدراك حكمتها، وأحق الناس بخشية الله هم العلماء الذين هداهم الله إلى معرفة أسرار هذه الموجودات، وتجعل كل ذى لب يهتف فى تلقائية:

﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (المؤمنون: ١٤).

**ثانيا: الحشرات جند من جند الله:**

حينما نطالع النصوص الواردة فى القرآن عن الحشرات بهذا الخصوص، فإننا نجد حكمة أخرى لها بالحكمة السابقة وثيق الصلة، فإله جعل هذه المخلوقات جنداً من جنده ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المدثر: ٣١). ينصر بها رسله وأولياءه، ويذل بها ويرغم أنوف أعدائه، وسنورد أمثلة لذلك فيما يلى:

**أ - الأرضة (دابة الأرض) تُتْهِى حصار الرسول والمسلمين فى شعب أبى طالب بمكة:**

ورد فى الصحيحين وغيرهما، أن قريشاً لما بلغهم إكرام النجاشى لجعفر بن أبى طالب وأصحابه حينما هاجروا إلى الحبشة كُبر ذلك عليهم، وغضبوا على رسول

الله ﷺ وأصحابه، واشتطوا في معاملتهم، وكتبوا صحيفة ظالمة جائرة تنص بنودها على مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة، فلا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم، وعلقوا هذه الصحيفة في جوف الكعبة إشارة إلى احترام بنودها والمبالغة في تطبيقها، وكان الذي كتب الصحيفة رجلاً يقال له: "بغيض بن عامر" فشلت يده، وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلة المحرم سنة سبع من البعثة، وانحاز إليهم بنو عبد المطلب، وقطعت قريش عنهم الميرة والمدد، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغوا الجهد، وأقاموا على ذلك ثلاث سنين، ثم أطلع الله رسوله ﷺ على أمر الصحيفة، وأن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من ظلم وجور، وبقي ما كان فيها من ذكر الله - تعالى - فأخبرهم أبو طالب بذلك، فارتقوا إلى الصحيفة فوجدوها كما قال رسول الله ففكوا عنهم الحصار وأخرجوهم من الشعب<sup>(١)</sup>.

## ب - الأرضة (دابة الأرض) تبطل ادعاء الجن علم الغيب :

ولا يقتصر دور الحشرات في الإنذار والتخويف على الإنس فقط بل يتعداهم إلى الجن، وهم من عالم ما وراء الطبيعة، فقد امتن الله على سليمان - عليه السلام - بتسخير الجن له، يعملون له الأعمال الإنشائية الشاقة، سواء أكانت للأغراض الحربية أم المدنية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَسُلَيْمَٰنَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ آعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ (سبأ: ١٢، ١٣) فكانوا يدعون علم الغيب، فأراد الله أن يبطل دعواهم، ويرد كيدهم إلى نحورهم، فلما استعملهم سليمان في بناء بيت المقدس وحثان أجله وأعلمه الله به، سأل ربه أن يعنى عنهم موته حتى يفرغوا من البناء ولتبطل دعواهم علم الغيب، فقام يصلى متكئاً على عصاه في مصلاه، فقبضت روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك، وهم فيما أمروا به من الأعمال حتى أكلت الأرضة عصاه فخر

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري، ج ١، ص ٥٠، ط الشعب.

على الأرض، وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه كلما صلى، وصدق الله إذ يقول: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (سبأ: ١٤).

وهكذا ظل الجن مسخرين يعملون في بناء بيت المقدس معتقدين أن سليمان - عليه السلام - مازال على قيد الحياة، حتى ظهرت لهم الحقيقة على يد دويبة صغيرة هي الأرضة التي تسللت إلى المنسأة (العصا) التي يتكىء عليها نبي الله سليمان فأكلت منها حتى ضعفت عن حمل جسده فخر على الأرض، عندئذ أدرك الجن زيفهم وزيفهم، وأنهم لا يعلمون من الغيب شيئاً، إنما علم الغيب لله - وحده - مصداقاً لقوله الكريم: ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ (الجن: ٢٦، ٢٧).

### ج - الجراد والقمل لتأديب قوم فرعون:

حينما تناول قوم فرعون على نبي الله موسى - عليه السلام - وأنهم لم ولن يستجيبوا لدعوته، لأنها في نظرهم سحر ووهم - على حد ما سجله القرآن عليهم في هذا الشأن في قوله - تعالى - : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٢).

فكان أن شدد الله عليهم، وابتلاهم بالجدب والقحط، وكان للحشرات دور هام كوسيلة من وسائل ردهم، وبخاصة أن ملكهم فرعون قد تناول على مقام الألوهية والربوبية: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات: ٢٤) وقال: ﴿ مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنَّ عَلَى الْطِينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَىٰ إِلَهِي مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (القصص: ٣٨).

وشايعة قومه في هذا السَّقه حيث استخف بعقولهم فأطاعوه على نحو ما سجله القرآن عليهم في قول الله - تعالى - : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾ (الزخرف: ٥٤)، ولم ينته به السخف عند هذا الحد، بل أراد أن يحمل نبي الله موسى - عليه السلام - على عبادته كرها وتهديداً بالسجن على غرار ما

يفعل المجرمون، حيث قال: ﴿ قَالَ لِيْنِ آتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُورِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٩).

فسلط الله عليهم وسائل العقاب على نحو ما ورد في قوله - تعالى -:

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ء آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٣).

فأكل الجراد زروعهم وثمارهم، كما سلط الله عليهم القمل، قيل إنه السوس (حشرات تصيب المواد المخزونة) فأجهز على مدخراتهم من المواد الغذائية، فإذا كان الجراد قد أكل ما كان من الزروع قائما فإن السوس قد أتى على ما كان منها مدخراً، وقيل: إنه القمل المشهور المعروف، وهو يتطفل خارجياً على جسم الإنسان، فمنه قمل الرأس، وقمل العانة، وقمل الجسم، فكان يدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمتص دماءهم، وسواء أريد به السوس أو القمل الحقيقي فتلك أنواع من الحشرات سلطها الله عليهم لعلهم يتوبون ويرجعون، يقول الله - تعالى -:

﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ ء آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٨).

ولما كان الجراد غير متوطن بمصر ساغ التعبير بإرساله ضمن هذه المرسلات، وتلك سنة من سنن الله - تعالى - حينما يوجه شيئاً من البلاء لتعذيب العاصين، والنصوص في هذا الشأن متضاربة ومتوافرة، يقول الله - تعالى - في شأن أصحاب الفيل: ﴿ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ (الفيل: ٣) يقول الله - تعالى - في شأن عاد قوم هود: ﴿ إِنَّا مَرْسَلْنَا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَبْنَاهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴾ (القمر: ٢٧)، كما أرسل عليهم الصيحة لهلاكهم ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَتَّارِ ﴾ (القمر: ٣١). ويقول في شأن قوم لوط: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ء آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ ﴾ (القمر: ٣٤).

كما يعبر القرآن أحياناً عن إرسال هذه الوسائل العقابية بالقذف بها في صورة موحية بالشدّة والقسوة، يقول - تعالى -: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٨).

## د - البعوض يدمغ النمرود:

ذكر الواحدى فى تفسيره الوسيط أن النمرود بن كنعان هو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر فى الأرض وادعى الربوبية<sup>(١)</sup>.

كما ذكر الحافظ ابن كثير فى تفسيره أن بعوضة دخلت فى منخرى النمرود حتى أهلكه الله بها<sup>(٢)</sup>، وإن كان فى النص مبالغة حيث ذكر أن البعوضة بقيت فى منخره أربعمئة سنة، كما ذكر غيره تلك الواقعة بدون تحديد مدة لمكث البعوضة فى رأسه.

وعلى أى حال فإن هذه البعوضة تمثل قذيفة أحيائية حية قذف الله بها رأس ذلكم الطاغية فأصابت دماغه (مخه) صاحب الفكر المنحرف المنجرف، الذى قاد صاحبه إلى النكران والكفران بدلا من أن يقوده إلى الشكران والإيمان، وستظل ترسانة الخلاق العليم مليئة بهذه القذائف وغيرها، أشكالا وألوانا لردع الطامحين الجاحمين وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ ببَعِيدٍ﴾ (هود: ٨٣).

## هـ - الذباب يذل الله به الجبابة:

ورد فى روضة الأخبار أن المأمون خطب ذات مرة، فوقع ذباب على عينه فطرده، فعاد الذباب مراراً حتى قطع عليه الخطبة، فلما صلى أحضر أبا هذيل - شيخ البصريين فى الاعتزال - فقال له: لم خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبابة. قال: صدقت، وأجازه بمال.

## و - الدبر يحمى جثمان عاصم بن ثابت الأنصارى:

أورد ابن هشام فى سيرة النبى ﷺ أن عاصم بن ثابت الأنصارى - الصحابى المجاهد - قتل يوم الرجيع، فأرادت هذيل أخذ رأسه لبيعوه من "سلافة بنت سعد" أى لبيعوه لها، وكانت قد نذرت حين أصاب عاصم ابنها يوم أحد لئن قدرت عليه لتشربن فى قحف رأسه الخمر، فمنعه الدبر (الزناير أو النحل)، فلما حال بينهم وبينه قالوا: دعوه (أى الدبر) حتى يمسى فتذهب عنه فنأخذه، فبعث الله الوادى

(١) التفسير الوسيط للواحدى، ج ١، ص ٣٦٨ ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٢) ابن كثير، ج ١ ص ٣١٣.

(أى المطر الذى يسيل فى الوادى بغزارة) فاحتمل عاصمًا فذهب به ، وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدًا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركًا أبدًا، تَنَجُّسًا (أى اتقاءً للنجاسة)، فالمشركون نجس لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (التوبة: ٢٨).

فكان عمر بن الخطاب -رضى الله عنه - يقول حين بلغه ذلك :  
"يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركًا أبدًا فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته".  
ولهذا أطلق على عاصم -رضى الله عنه -: حَمِيُّ الدَّبْرِ.

وتلك آية من آيات الله فى حفظ عباده وأوليائه ، كان للحشرات فيها دور الذود عن المؤمنين يوم أن صعدت الروح إلى بارئها ، إشارة إلى ضعف كيد الكافرين.

ى - يسلط الله نوعا من الحشرات على يأجوج ومأجوج فيقضى عليهم ، فى الحديث الذى يرويه أبو سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : "فبينما هم كذلك إذ بعث الله دواب كنغف الجراد فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضها بعضا ، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسًا" (ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب ٣٣ حديث رقم ٤٠٧٩).

### ثالثا: الحشرات مادة لضرب الأمثال:

ونود أن نعرف المقصود بالمثل حتى يكون ذلك أكثر عونًا لنا على فهم المراد منه عند الاستشهاد بالنصوص فى مواطنها.

### معنى المثل:

المثل: كلمة مأخوذة فى الأصل من كلمة (المثال) بمعنى النظير، وهو قول سائر على الألسنة، يشبه به أمرٌ بأمْرٍ سابق، يسمّى الأمرُ السابق بالموْرِد، ويسمى الأمرُ الحاضرُ بالمضْرَب، والمثل قول موجز، يصيب المعنى، فيه حسن التشبيه وجودة الكناية، فهو فى غاية البلاغة، والمثل يروى كما ورد من غير تغيير فى لفظه، ولا يضرب إلا بما فيه غرابة أو شأن عجيب، ومنه قول النبى ﷺ: "كل الصيد فى جوف

الفرا" ومنه قول الله - تعالى - : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ (الحج : ٧٣) وغير هذا في القرآن والسنة كثير.

وعليه ، فلما كانت الحشرات مخلوقات ضعيفة ورهيفة ، لا تقاس قدرتها بقدرة البشر ، فضلا عن مدعى الألوهية منهم ، فقد ضرب الله بها الأمثال فى كثير من المواطن فى كتابه العزيز للدلالة على بالغ حكمته ، وعظيم قدرته ، وفى هذا المعنى يقول الإمام أبو منصور : الأعجوبة فى الدلالة على وحدانية الله - تعالى - فى الخلق الصغير الجثة والجسم أكبر منها فى الكبار العظام... فالبعوضة أعطيت على قدر حجمها الحقير كل آله وعضو أعطيهُ الفيل الكبير القوى<sup>(١)</sup>. أى أن يجسمها من الأجهزة ما تصلح به حياتها كما أن يجسد الفيل ما يصلح حياته.

وضرب المثل بالحشرات فى القرآن والسنة متنوع تبعا لتنوع الأغراض والمعانى التى يراد إبرازها ، ونجتزئ منها بذكر أمثلة للتوضيح فيما يلى :

#### أ - يضرب الله المثل بالحشرات لأنها خلق من خلقه :

روى الحسن وغيره أن الكفار أنكروا ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فى قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ (الحج : ٧٣) ، وفى قوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ (العنكبوت : ٤١).

أو أنهم قالوا : الله أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال لما نزل قوله - تعالى - : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (البقرة : ١٧).

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجَعْلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : ١٩).

فأنزل الله قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا

(١) تفسير روح البيان لإسماعيل حقى البرسوى ، ج ١ ، ص ٦٦ ، ط : إحياء التراث العربى - بيروت.

أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿البقرة: ٢٦﴾.

وفيها يخبر الله بأنه لا يستحيى ولا يستتكف ولا يمتنع أن يضرب مثلاً أى مثل كان، بأى شىء كان، صغيراً كالبعوضة أو ما دونها فى الصغر، أو كبيراً كالذباب والعنكبوت ونحوهما، فكما أنه خلق هذه الأشياء ولم يستتكف من خلقها، فهى على صغرهما فيها من دلائل القدرة وبيد الصنعة ما تحار فيه العقول، ويشيد بحكمة الخالق، فإنه لا يستتكف أن يضرب المثل بأى شىء منها، فهو سبحانه وتعالى ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

### ب - فى ضرب المثل بالحشرات إشارة إلى عجز الآلهة المزعومة :

إن الآلهة التى يتخذها الكافرون من دون الله حجراً كانت أو شجراً أو حيواناً أو إنساناً إنما هى أعجز وأضعف من الضعف فى حد ذاته، فمن صفة الإله القدرة، وهؤلاء لا قدرة لهم، حيث لا يستطيعون خلق شىء من هذه الحشرات كالذباب ونحوه، وناهيك عن التحدث عن قدرتهم على الخلق، فعجزهم بين ظاهر وواضح وضوح الشمس فى رابعة النهار، فهم من العجز بحيث لا يستطيعون إعادة ما يسلبه الذباب منهم أو من آلهتهم إذا ما حط على طعام أحدهم أو شرابه أو على ما يقرب لإلهه، ووجه التحدى والعجز فى هذا أن القدر الذى تأخذه الذبابة بضمها أو بأرجلها على سبيل السلب شىء من الدقة والصغر بحيث لا يمكن تقديره فضلاً عن إعادته وإرجاعه، وأن الإنسان أضعف فى قوته من هذا الجزء المسلوب ﴿صَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (الحج: ٧٣).

### ج - تقريب لمعنى البعث فى الأذهان :

لقد ضرب الله المثل بالحشرات ليقرب إلى أذهان الناس معنى البعث يوم القيامة، وما ينتابهم فيه من هول وفزع، يقول الله - تعالى - : ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (القمر: ٧).

فهذه الآية تقرر حقيقة يعرفها أهل الجزيرة العربية التى تتعرض لموجات من أسراب الجراد الرحال، الذى إذا ما حط بأرض وألقى بها عصا تسياره قضى على ما

بها من نبات، وتضع إنائه بيضها فى تلك التربة بنظام محكم، ثم لا تلبث الآباء أن ترحل وقد أتت على الأخضر واليابس، فإذا ماتت مدة حضانة هذا البيض وواتته الظروف، فإن أفواج تلك الصغار تشق الأرض شقا، وتنتشر، فيظن الناس أن الجراد يتولد من الأرض، وكذلك حال الناس يوم البعث، يخرجون من قبورهم عقيب النفخة الثانية لإسرافيل فى الصور ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨).

#### د- تقرب لمعنى الضعف والحيرة يوم البعث:

يضرب الله المثل بالحشرات فى كتابه العزيز لبيان ضعف الناس وحيرتهم يوم القيامة، وأنهم أحوج ما يكونون إلى لطف الله ورحمته، فقد تقطعت بهم الأسباب، وتفرقت عنهم الأحباب والأصحاب ﴿يَوْمَذُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَيْهِ وَآخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّبُهَا ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (المعارج: ١١ - ١٤).

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس: ٣٧).

وقد تكفلت سورة القارعة ببيان هذا الموقف فى قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ (القارعة: ٤).

فيكون الناس يوم القيامة فى غاية الضعف والحيرة كالفراش المبثوث، ونحن نعرف أن الفرش أنواع كثيرة، وهى حشرات رهيقة تخرج بأعداد وفيرة، وتنتشر عقب خروجها فى حالة من الضعف والحيرة، لا تدرى أين تتجه؟ ولا إلى أين تنطلق، وقد يغريها ضوء المصباح فتتهافت عليه فيحرقها.

فألهم سلمنا فى ذلك اليوم من الذل والضعف والحيرة...

وأعطنا كتابنا بأيماننا... وهب لنا نورا... واجعلنا لك من الشاكرين.

هـ- فى ضرب المثل بهذه الحشرات الدقيقة إشارة إلى حال الإنسان وكمال استعدادة: كما قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله خلق آدم على صورته" (أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الجنة، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل



بذنوب أهلها فوقف متعجبا، فقال: يارب قد كان فيهم صبيان ودوابٌ ومن لم يقترب ذنبا، ثم نزل تحت شجرة فجرت له هذه القصة، فعاتبه الله إيضاحاً لحكمة شمول الهلاك لجميع أهل تلك القرية، فضرب له المثل لذلك، أى إذا اختلط من يستحق الإهلاك بغيره وتعين إهلاك الجميع طريقاً إلى إهلاك المستحق جاز إهلاك الجميع، ولهذا نظائر كتترس الكفار بالمسلمين، وغير ذلك، قاله الحافظ فى الفتح.

### ح - يضرب بها المثل على ضآلة شأن الدنيا:

ففى حديث سهل بن سعد الذى رواه ابن ماجه "ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة أبداً" (كتاب الزهد، حديث ٤١١٠) وذلك يدل بوضوح على أن الدنيا لا تستحق التكالب عليها بحيث تستولى على مجامع قلوب محبيها، إذ لو كانت تساوى وزن جناح البعوضة لَضَنَّ الله بها على الكافرين، بل لَضَنَّ أن يسقى الكافر جرعة ماء، أما وإن الكفار نراهم يتقبلون فى نعيمها فهى إذلاً لا تساوى جناح بعوضة عند الله.

### ط - يضرب بها المثل لبيان عظم ملك الله وتمامه وكماله:

ففى الحديث القدسى الذى يرويه أبو ذر: "ولو أن حيكماً وميتكماً وأولكماً وأخركماً ورطبكماً ويابسكماً اجتمعوا فكانوا على أتقى قلب عبد من عبادى لم يزد ذلك فى ملكى جناح بعوضة، ولو اجتمعوا فكانوا على قلب أشقى عبد من عبادى لم ينقص من ملكى جناح بعوضة" (ابن ماجه - الزهد ٤٢٥٧).

### رابعاً: الإشارة إلى ما ركبته الله فى طبائع خلقه من صفات:

من حكم الله فى ذكر الحشرات فى القرآن إشارة إلى طبائعها، فالبعوض والذباب مخلوق على غاية الضعف، والأسد مخلوق بغاية القوة، ومع هذا فإن الله أعطى البعوض والذباب جرأة أظهرها فى طيرانها فى وجوه الناس، وتماديها فى ذلك مع مبالغة الناس فى طردها، ومن رحمته سبحانه بعباده أنه ركب الجبن فى الأسد، وأظهر ذلك بتباعده عن مساكن الناس وطرقهم، فلو تجاسر الأسد تجاسر الذباب والبعوض لهلك الناس، ومن عجب عجز الإنسان عن هذا الضعيف وقدرته على ذلك القوى بصيده وأسره.

ويجب ألا يغيب عن الأذهان ما قاله القشيري :

إن الخلق في التحقيق بالإضافة إلى قدرة الله أقل من ذرة من الهباء في الهواء،  
ويستوى في قدرته العرش والبعوض، فلا خلق العرش عليه أعسر، ولا خلق  
البعوض عليه أيسر، سبحانه وتقدس عن حقوق العسر واليسر.